

الدكتور جعفر آل ياسين

ودوره الفلسفي في العراق المعاصر

المدرس الدكتور

حاكم عبد ناصر

جامعة الكوفة / كلية الآداب

الدكتور جعفر آل ياسين ودوره الفلسفي في العراق المعاصر

المدرس الدكتور

حاكم عبد ناصر

جامعة الكوفة / كلية الآداب

تمهيد:

هذا البحث هدفه وغايته ومراميه الكشف عن الإسهام الفلسفي للعلامة العراقي المرحوم الدكتور جعفر آل ياسين، وبيان المنهج الذي اعتمده في قراءة الفلسفة وتاريخها، فضلاً عن تحقيقاته العلمية الدقيقة للنصوص الفلسفية الإسلامية.

وهو محاولة بحثية متواضعة من قبلنا في دراسة الشخصيات الفلسفية العراقية المعاصرة، التي رفدت المكتبة الفلسفية العراقية والعربية والإسلامية بمؤلفاتها وأبحاثها العلمية المرموقة، وهو مشروع بدأناه مع أطروحتنا للدكتوراه في المجتمع والاجتماع في فلسفة الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر، والتي نوقشت في قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ثم تلوناه ببحث عن الإنجازات المنطقية في النجف الأشرف في القرن العشرين. ضمن أعمال المؤتمر الفلسفي الثامن لبيت الحكمة^(١)، بغداد ٢٠٠٨.

المبحث الأول

سيرته

يعتبر المرحوم الدكتور جعفر بن مرتضى آل ياسين ^(٢) المولود في مدينة الكاظمية المقدسة، بغداد، العراق عام ١٩٣٢ م، والمتوفي في مدينة النجف الأشرف عام ١٤٣٠هـ / ٩/٣ / ٢٠٠٨ م، علامة فلسفية بارزة في الدرس الفلسفي العراقي المعاصر فضلاً عن العربي والإسلامي، وذلك لما قدمه من دراسات فلسفية معمقة في الفلسفة اليونانية والإسلامية والتراث العربي الإسلامي، وتحقيقات نصوص فلسفية لكبار الفلاسفة المسلمين من أمثال الفيلسوف أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ / ٩٥٠م)، والفيلسوف أبي علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م). وغيرها مما سيرد ذكرها في ثنايا هذا البحث. وفهرست مؤلفات الفارابي بالتشارك مع المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ.

إذ توج الدكتور جعفر آل ياسين عمله الفلسفي مبكراً عندما كان طالباً للفلسفة في كلية الآداب في خمسينيات القرن العشرين ببحثه للتخرج عن الفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) ، لينتقل بعدها للدراسة في جامعة أكسفورد ، المملكة المتحدة، للحصول على الدكتوراه في الفلسفة، وذلك عن تحقيقه لكتاب ابن سينا في السماع الطبيعي من كتاب الشفاء مع مقدمة عن الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ^(٣)، ليلتحق بعدها تدريسياً في قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بغداد في بداية ستينيات القرن المنصرم وحتى إحالته على التقاعد في بداية ثمانينيات القرن ذاته، ليتفرغ بعد ذلك للتدريس في جامعات الأقطار العربية ومنها الكويت والإمارات العربية (جامعة العين) وليبيا (جامعة السابع من أبريل وجامعة مصراته) وغيرها، وحتى عودته لبلده العراق بعد عام ٢٠٠١م، بسبب إصابته بمرض أدى إلى فقدان ذاكرته، وفي عام ٢٠٠٤ غادر بغداد مع عائلته إلى النجف الأشرف بسبب اغتيال إحدى إبنتيه على يد المجموعات الإرهابية، ليستقر به المقام هناك ويلقي ربه من هذه المدينة المقدسة.

المبحث الثاني

النتاج الفلسفي للدكتور جعفر آل ياسين

لقد أسهم المرحوم الدكتور جعفر آل ياسين بفاعلية مشهود لها بالدقة والمنهجية المحكمة والتعمق في الدرس الفلسفي، وقد تمثل ذلك بنتاجه الفلسفي المتنوع في المنطق والفلسفة العلمية الإسلامية والفلسفة اليونانية وكيفية دراسة التراث الفلسفي الإسلامي، والمعجمية الفلسفية، فضلاً عن تحقيقاته لنصوص الفلاسفة المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا. وهذه الإسهامات هي:

أولاً : المؤلفات الإبداعية

لقد تنوع الإنجاز الفلسفي الإبداعي للدكتور آل ياسين، في مساحة فلسفية تاريخية بدءاً من اليونان وحتى الفلسفة الإسلامية المتأخرة، ولذا سنحدد هذا الإنجاز على وفق التتبع التاريخي لصدور هذه المؤلفات، وهي:

١. صدر الدين الشيرازي، مجدد الفلسفة الإسلامية، صدرت طبعته الأولى في بغداد عام ١٩٥٥، عن دار المعارف، وأعيد طبعه بعنوان جديد هو: الفيلسوف الشيرازي ومكانته في تجديد الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت ١٩٧٩. والكتاب كما ذكرنا في المقدمة هو بالأصل بحث للتخرج في قسم الفلسفة، جامعة بغداد. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية ونشرته جامعة أصفهان عام ١٩٦٢.

٢. ابن سينا والمبادئ العامة، بحث، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٦٣. وأظن أن هذا البحث هو جزء مهم من أطروحة الدكتوراه للدكتور جعفر آل ياسين بعنوان ابن سينا وفلسفته الطبيعية، أكسفورد، المملكة المتحدة ١٩٦٢.

٣. الإنسان وموقفه من الكون في العصر اليوناني الأول، الكويت ١٩٧٠.
ويبدو أنه قد ألفه عندما كان أستاذاً زائراً في الكويت.
٤. فلاسفة يونانيون، من طاليس إلى سقراط، صدر هذا الكتاب بطبعته الثانية عن دار عويدات في بيروت عام ١٩٧٥، وهو من الكتب المنهجية المهمة في تاريخ الفلسفة اليونانية لطلبة قسم الفلسفة، وكان يدرس في هذا القسم لمدة ليست بالقصيرة. وإن كانت قد صدرت طبعته الأولى في بغداد.
٥. مؤلفات الفارابي، هذا الكتاب صدر بالتشارك مع المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ (ت ٢٠٠٨م)، عن وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٥، وكان سبب صدوره هو للاحتفاء بالذكرى الألفية لوفاة الفيلسوف الفارابي، والذي عقد عنه مؤتمر دولي كبير في بغداد في تلك السنة. صدر فيما بعد في كتاب عنوانه الفارابي والحضارة الإنسانية، بغداد ١٩٧٧، ولم نلحظ للمرحوم الدكتور جعفر آل ياسين أية مشاركة علمية في هذا المؤتمر.
٦. الفارابي في المراجع العربية، هذا الكتاب صدر أيضاً بمناسبة الاحتفاء بالذكرى الألفية للفارابي، بغداد ١٩٧٥.
٧. المدخل إلى الفكر الفلسفي عند العرب، صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب، عن سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد ١٩٧٨، ثم طوره فيما بعد، وصدر بطبعة جديدة في بيروت ١٩٨٠. كما وصدرت له طبعة رابعة فيما بعد، وهذا الكتاب من الكتب المنهجية المهمة في دراسة وتأويل الفكر الفلسفي عند العرب.
٨. فيلسوفان رائدان، الكندي والفارابي، صدرت طبعته الأولى عن دار الأندلس، بيروت ١٩٨٠، وأعيد نشره عن ذات الدار عام ١٩٨٣. وهذا الكتاب على صغر حجمه وعظم مادته العلمية والفلسفية يشكل قراءة تأويلية جديدة ومنهج في فهم أهم فيلسوفين مؤسسين في الفلسفة الإسلامية. ولا أظن أن

أحداً يستطيع تجاوز قراءة ما توصل اليه الدكتور جعفر آل ياسين في هذا الكتاب من نتائج فلسفية محكمة في فهم فلسفتي الكندي والفارابي.

٩. المنطق السينووي، دراسة للنظرية المنطقية عند ابن سينا، صدر هذا الكتاب عن دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٣. وفيه يكشف الدكتور آل ياسين لأول مرة عن منطق ابن سينا بشكل تفصيلي ودقيق، مع مقارنات مع منطق أرسطو والفارابي، وهذه أول دراسة عربية وعراقية بحسب علمي المتواضع تكتب عن منطق ابن سينا.

١٠. فيلسوف عالم، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، صدر هذا الكتاب عن دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤، وهو أوسع دراسة فلسفية عراقية وعربية عن ابن سينا، وذلك لما تحتويه من موضوعات ذات صلة بحياة وفكر وفلسفة ومنطق ومنهج وتصوف ابن سينا، ولا أظن أن دارساً لفلسفة هذا الفيلسوف يستطيع أن يتجاوز هذه الدراسة لما فيها من عمق التحليل والفهم العميق لفلسفة ابن سينا وتقريبها للغة عصرنا بشكل متميز.

١١. الفارابي في حدوده ورسومه، صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عن دار عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥، وهو كتاب معجمي لألفاظ وحدود الفارابي الفلسفية، التي نشرها الفارابي في معظم مؤلفاته التي وصلت إلينا أو من المخطوط منها، مع مقارنة بما ذكره أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م)، في كتابه مقالة الدال، أو ما أشار إليه الفلاسفة المسلمين ممن كتبوا في رسائل الحدود والرسوم من أمثال الفيلسوف الكندي (ت ٢٥٢هـ) أو ابن سينا في كتابه الحدود، أو الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) في كتابه الحدود، وهو عمل علمي جبار ومتميز أحصى فيه الدكتور آل ياسين معظم الألفاظ الفلسفية الفارابية وصنفها على وفق الحروف المعجمية العربية، حتى لم يترك لمزيد ما يقوله

عن المصطلحات الفلسفية الفارابية، وهو كتاب مرجعي في بابيه لمن أراد أن يدرس ألفاظ ومصطلحات الفلسفة الإسلامية بعامة والفارابي بخاصة.

١٢. فلاسفة مسلمون، الكندي، الفارابي، إخوان الصفا، وابن سينا، والغزالي، وصدر الدين الشيرازي، صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عن دار الشروق، القاهرة ١٩٨٧. وهو من الكتب الإبداعية المتأخرة للمرحوم الدكتور آل ياسين. وقد أهده إلى الفيلسوف المصري المعروف الدكتور زكي نجيب محمود.

١٣. فلاسفة ثلاثة: الرازي، ابن سينا، الغزالي، هذا الكتاب وعدنا الدكتور آل ياسين بإنجازه كما تشير إلى ذلك قائمة مؤلفاته، إلا أنه لم ير النور وحتى يوم وفاته، ولربما يكون مخطوطاً عند عائلته، أو أنه قد استعاض عنه بكتاب فلاسفة مسلمون، المشار إليه في الفقرة السابقة، وهنا تجب الإشارة أن الدكتور آل ياسين لم يقدم دراسة عن فلسفة الفيلسوف أبي بكر الرازي في الكتاب السابق.

ثانياً : النصوص المحققة:

لم يقف إنتاج المرحوم الدكتور جعفر آل ياسين على التأليف الفلسفي الإبداعي فقط، بل توجه صوب تحقيق النصوص الفلسفية لكبار الفلاسفة المسلمين، وقد توج توجهه العلمي في بداية حياته الفلسفية مثلما أشرنا إلى ذلك في بداية حديثنا عن سيرته العلمية إلى تحقيق نص ابن سينا في السماع الطبيعي من الشفاء، لينتقل بعدها إلى تحقيق رسائل الفارابي الفلسفية، ليكون الدكتور آل ياسين في تحقيقه لنصوص رسائل الفارابي أحد أهم المحققين العراقيين والعرب الذين أسهموا بجد في الكشف عن فلسفة الفارابي ونشرها، فضلاً عن ابن بلده

العلامة العراقي الكر بلائي المرحوم الدكتور محسن مهدي (ت ٢٠٠٧م)، والذي هو الآخر قد حقق نصوصاً كثيرة للفارابي الفيلسوف ومنها كتاب الحروف، وكتاب الملة، وكتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، وكتاب فلسفة أرسطو، وربما وبحسب وجهة نظرنا المتواضعة، فإن المرحوم الدكتور محسن مهدي يحتاج هو الآخر دراسة فلسفية عراقية تظهر إسهاماته في نشر النصوص الفلسفية الفارابية.

ويمكن تحديد ذلك الإنجاز العلمي التحقيقي للدكتور جعفر آل ياسين على وفق الآتي:

١. الفارابي، كتاب التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق، صدر طبعته الأولى عن دار المناهل، بيروت ١٩٨٧.
٢. الفارابي، رسالتان فلسفتان، وهما: الأولى - مقالة أبي نصر الفارابي فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم، والثانية - جوابات لمسائل سئل عنها. صدرت هاتان الرسالتان بطبعتهما الأولى عن دار المناهل، بيروت ١٩٨٧.
٣. الفارابي، كتاب تحصيل السعادة، دراسة وتحقيق، صدر طبعته الأولى عن دار المناهل، بيروت ١٩٨٧.
٤. الفارابي، كتاب التعليقات، دراسة وتحقيق، صدر طبعته الأولى عن دار المناهل، بيروت ١٩٨٧.
٥. ملاحظة مهمة: هذه الكتب والرسائل للفيلسوف الفارابي، جمعها المرحوم الدكتور آل ياسين، ونشرها مجتمعة في كتاب واحد، أسماه: الفارابي: الأعمال الفلسفية، الجزء الأول، وصدر بطبعته الأولى عن دار المناهل، بيروت ١٩٩٢. ولم يصدر الجزء الثاني من هذه الرسائل، وحتى يوم رحيله عن هذه الدنيا.

٦. ابن سينا، كتاب الشفاء، جملة الطبيعيات، السماع الطبيعي، صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب مع دراسة تفصيلية، عن دار المناهل، بيروت ١٩٩٣. وطبعته الثانية عن ذات الدار في عام ١٩٩٦. وكما أشرنا أن هذا الكتاب هو جزء من مشروع الدكتور آل ياسين للحصول على الدكتوراه من جامعة أكسفورد في المملكة المتحدة، في بداية ستينيات القرن المنصرم.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب المهم في فلسفة ابن سينا الطبيعية، قد صدر قبل نشر الدكتور آل ياسين بطبعة علمية محققة، ضمن مشروع تحقيق موسوعة الشفاء لابن سينا، في القاهرة، وقد قام بتحقيقه ونشره المرحوم سعيد زايد، وقدم له المرحوم الدكتور إبراهيم مذكور، وصدرت طبعته الأولى عن دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣.

المبحث الثالث

منهج الدكتور آل ياسين في قراءة التراث الفلسفي الإسلامي

أولاً : التأسيس النظري

في أكثر من مؤلف من مؤلفات الدكتور آل ياسين، يتحدث عن المنهج العلمي الأمثل لقراءة التراث الفلسفي الإسلامي، إذ أنه يشكل هاجس حيوي لديه لفهم هذا التراث، فبدون منهج علمي تحليلي لا يمكن استشراف واكتشاف الأصالة في هذه الفلسفة، وما قدمته من عطاء رؤية فلسفية كونية وقيمية محكمة للتراث الفلسفي العالمي، بدءاً من اليونان ومروراً بالعصر الوسيط فالحديث فالمعاصر.

ومن أجل ذلك سنحاول في هذا المبحث إبراز أهم الآراء المنهجية التي صرح بها الدكتور آل ياسين في قراءة التراث الفلسفي الإسلامي، وهي:

١. إن الدعوى لبناء التراث ودراسته علمياً ومنهجياً، ليس بالاندفاع نحوه بروح عصبية سلفية تحاول أن تضع الحواجز التاريخية لسد منظور الحاضر، بغية إظهار الماضي وكأنه (الدرة) المكنونة التي تحمل كل المقومات الطبيعية منذ وجدت البشرية على وجه الأرض^(٤).

٢. يحمل الدكتور آل ياسين على المتبنين لهذا المنهج، ويعتبر نظرهم فاشلة في فهم التراث، بل ويعتبر أن النظرة إلى الماضي يجب أن تكون أداة ووسيلة لبناء الحاضر، لا سبيلاً غائياً وغيبياً فحسب^(٥)، وهنا يوجه الدكتور آل ياسين نقده للمتبنين للماضي وكأنه الدرة المكنونة، بقوله: أنه جمود وتمسك وخنوع، وأما المتبنين للموقف الذي يربط بين الماضي والحاضر فيعتبرهم أصحاب صيرورة وتصير نحو فهم تقدمي يدرك المرحلتين، ويميز بين الاتجاهين، فلا ينسحب الأول منه على الثاني، بل ربطاً عضوياً يسقيه من حياته الحاضرة بما يدفع به إلى البناء واستمرار ديمومته^(٦).

٣. يعود السبب في تبني هذه المواقف المتناقضة من التراث الفلسفي الإسلامي، على وفق وجهة نظر الدكتور آل ياسين، إلى أن الموقف الحركي للتاريخ ليس واضحاً في موسوعاتنا الفكرية التي ورثناها، وبسبب فقدان هذه الصورة وقع الباحثون فريسة أحكام عشوائية ناقصة، لا ينفذ من خلالها إلى طريق يقود إلى الرأي السليم، في حين أن استكشاف هذا المفهوم الحركي باطنياً أمر يحقق أهمية بالغة الخطورة، غير يسيرة المنال، لأنها تعتمد فهم العمق النفسي للمؤرخ ذاته، وطبيعة الحال التي يصورها لنا مرتبطة بمكانها وزمانها المعينين^(٧).

٤. ويعزو الدكتور آل ياسين تبني هذه المواقف من التراث الفلسفي الإسلامي،

إلى تباين المنهج الذي يعتمد الدارسون في ذلك، مما ولد تبايناً في الأحكام والاجتهادات والمواقف، ((فقسم منهم نظر إليها بمنظار صنعة له حضارة القرن العشرين، ليستكشف به حضارة القرون الخوالي!، وشتان بين آلة صناعية للكشف، وبين حكم عقلي نير، يريد الوصول إلى كوامن ذلك الخفي، غير هادف إلى معرفة السطح منه فحسب))^(٨). وهنا ينبه الدكتور آل ياسين إلى أصحاب هذه المناهج وهذه القراءات لتراثنا الفلسفي، متهماً إياهم بعدم الإنصاف والعدل، بقوله: ((ليس من النصفة في شيء إذن أن نزن هذا الفكر الموروث بموازين من الفكر الحديث أو المعاصر، فنضع كلاً منهما في كفة مكيال، لنحكم بسبيل من الجديد على القديم، ونعكس الحاضر على الماضي، ونصبغ التراث باللون الذي يساير أذواقنا اليوم، كما يفعل محترفوا المسرح على خشبته سواء بسواء!))^(٩). وهذا سبيل وعر وشائك في الحكم على التراث.

٥. أما الحل الأمثل لهذه الإشكاليات على وفق منظور الدكتور آل ياسين في قراءة التراث الفلسفي الإسلامي، فيتمثل ((بأن نزن القديم بقدمه، ونحكم عليه بظروفه، وننظر إليه بعين أهله، ومتى استقام الحكم أمام أنظارنا، وظهرت أوجه النقد الهادف بارزة واضحة، عند هذا حق لنا أن نختار لأنفسنا خير هذا التراث، ونصرف عنه شره، نترسم الصحيح منه ما يساير العصر، ونترك الصورة الباهتة التي لا نريد، ونستخلص الفكرة التي تخلق لنا عناصر الربط التقدمي بين الماضي والحاضر، ونجعل منها أداة صلة تتحرك دائماً نحو التجديد والإبداع))^(١٠).

٦. إن وجهة النظر هذه للدكتور آل ياسين، لم تأتي من فراغ علمي ولا منهجي، بل جاءت نتيجة قراءة معمقة وواعية ومدرسة بجد وطرافة لتراثنا الفلسفي الإسلامي، مع وعي تام بما كان يجري من قراءات لهذا التراث ترفدنا به

الكتب والمؤلفات الراهنة التي تكتب عنه، فنجده يقول بهذا الصدد: ((فعلی الرغم من أن مواقف بعض مفكرينا من السلف (الماضي) انطلقت من جوانب متباينة في نزوعها وأحكامها، فتارة هي مواقف لتاريخ الحاكمين وحاشيتهم، وتارة هي عرض لغزواتهم وحروبهم، وأخرى هي لذكر مغنيهم وأغانيهم!!، ومن خلال هذه المواقف يستطرد المؤرخ ليضع اللمسات الخفيفة على مفكر من هنا، وفيلسوف من هناك، ولا تجد إلا في الأقل النادر عرضاً حقيقياً واقعياً للوضع الاجتماعي الذي يمارسه الناس، باستثناء أعمال ابن خلدون وابن الأزرق ومن تبعهما من الخلق،...، ومن هنا نجد أن هذا المنظار الصناعي لا يصلح للنفوذ إلى كوامن هذا الخليط، بل يحتاج الأمر إلى يقظة فكرية، ومنهج علمي دقيق، يتيسر عن طريقهما الحكم بشكل إيجابي وسليم)) (١١).

٧. إن في العودة للتراث الفلسفي الإسلامي، بحسب بعض القائلين ممن أدركوا ذلك إدراكاً مقلوباً، فحسبوا إن كل دراسة له أو عليه يجب وأدها وإيعادها عن طريق، لأنها في نظرهم لا تساير صراعات العصر القائم ومتطلباته (١٢)، إنما يقعون في فخاخ الحكم المتسرع والمبتسر، لأنه حتماً يقعون في الحكم القائم على الطريقة الجدلية الساذجة، مع نفي للصورة الصادقة، والانهاء به إلى نبذه وراء ظهرانينا. ولهذا يقول الدكتور آل ياسين: أن هؤلاء القائلين بهذا الرأي والذين ينعتهم (المتزمتون في عصريتهم) إنما تناسوا أن عناصر الفكر التقدمي الحديث هي بحد ذاتها ثمرة لجذور ذلك التراث، ولولا هذا التراث لأضعنا أنفسنا في غربة موحشة لا نهاية ليلها الطويل (١٣).

٨. إن البديل لهذه القراءات لتراثنا الفلسفي من قبل الثورات الفكرية المعاصرة في بلداننا إنما تقوم على وفق رؤية الدكتور آل ياسين، بتبني التراث أساساً رئيسياً في مناهجها وخططها، وتعلن ذلك في جميع قراراتها ومواقفها،

فالسلبيات التي ينادي بها البعض لا تمثل سوى آراء فردية خاصة، يعود صداها على أصحابها، ولا تعطي الصورة المشرقة لما ندعوه له من الالتزام بالتراث^(١٤).

٩. كما ويعتقد الدكتور آل ياسين، إن من بعض أسباب هذه المواقف السلبية المنهجية من قراءة التراث الفلسفي الإسلامي، بل ((والتزييف الفكري له، إنما أسهم في تكريس وتثبيت بعض ضعاف النفوس من المستشرقين الذين تنادوا إلى تقديم رؤية تقليدية ساذجة، تدعي أن الفكر الفلسفي في الإسلام صورة ظليلة محنطة لمعالم الفكر اليوناني ومدارسه المختلفة، وأن الفلسفة العربية لا تمتلك جدة ولا ابتكاراً،...، وكان الهدف من مواقفهم تلك هو إضعاف جوانب المؤشرات الحضارية في تراثنا الواسع، وإعطاء صورة مهزوزة باهتة لنتاج مفكرينا وعلمائنا، لسد ثغرة النقص التي يعانيها هؤلاء في أحكامهم المزيفة، ولدفع دعوة أن الحضارة العربية كانت همزة الوصل البناءة بين حضارة الغرب القديمة ومدنيته المعاصرة...))^(١٥).

١٠. يطرح الدكتور آل ياسين، رؤية منهجية محكمة في تقديم تصور عن كيفية قراءة تراثنا الفلسفي بخاصة والفكري بعامة، يقوم على: ((التحرز الشديد، والترفع عن الذاتية الضيقة، والأخذ بالموضوعية، والتمسك باليقظة التامة، في دراسة نص من النصوص وتفحصه أو مقارنته.. فموسوعاتنا التاريخية على كثرة ما تورده من أسماء معنعة، وأحاديث مسلسلة، تبرز لديها هذه الصفة جليلة، لا تشوبها شائبة الشك والريبة))^(١٦).

ثانياً : الجانب التطبيقي:

إن هذه النقاط التي أوردناها آنفاً، والتي استقينها من مواقف الدكتور آل ياسين في قراءة تراثنا الفلسفي والفكري، إنما حاول جاهداً وببصيرة فلسفية نافذة أن يجد لها تطبيقات في مؤلفاته التي كتبها في الفلسفة الإسلامية، ومنها كتابه فيلسوفان رائدان (الكندي والفارابي)، وكتابه فيلسوف عالم (دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي)، وكتابه صدر الدين الشيرازي مجدد الفلسفة الإسلامية، وكتابه فلاسفة مسلمون، الذي يعد آخر ما صدر له من مؤلفات في هذا التخصص.

يقول الدكتور آل ياسين: أن هناك قاعدتان رئيسيتان ينبغي توفرهما في كل بحث منهجي وعلمي عن التراث هما: التحليل والتركيب، يتلازمان معاً، في تنظيم واتساق جنباً إلى جنب مع العامل التاريخي للمرحلة التي تنهض عليها الدراسة، ففي التحليل نتوصل إلى العناصر الأساسية في الموقف أو التجربة أو الواقعة، فنقدم شيئاً جديداً في الرؤية التي نريد والصورة التي نقصد، وفي التركيب حال أخرى تعتمد التدرج من البسيط إلى ما هو أكثر تعقيداً، من القضية على نقيضها، ومن الأحكام النسبية إلى أحكام أشد عموماً، ابعـد ضرورة)).

فضلاً عن ذلك، ينبـه الدكتور آل ياسين إلى أن ((كل دراسة فكرية لابد لها من عمق تاريخي يواكبها، يوضح معالم الطريق، وضع المؤشرات التي ينبغي أن تصاغ عليها، مع فهم موضوعي للفترة ذاتها، كي تتحقق الطريقتان، المذهبية والتاريخية بشكليهما المتكامل والمتكافل))^(١٧).

إن هاتين الطريقتين التحليل والتركيب والعمق التاريخي في دراسة التراث الفلسفي الإسلامي عند الدكتور آل ياسين، تكمل بعضها الآخر، وأن الصورة العلمية للدراسة المتخصصة لا تبرز بدونهما، وبالتالي إن الاتكال على رؤية

واحدة في قراءة تراثنا الفلسفي تبقى على أقل تقدير على وفق رأي الدكتور آل ياسين ((تفتقر إلى الأصالة والموضوعية، لأن كل ربط فكري لقضية ما تتواشج وسائلها حتماً مع الحوادث التي عاشها الفيلسوف أو العالم أو الفنان، وهي في صورتها التحليلية والتركيبية، على حد سواء في جميع مراحلها المتعاقبة، قديمها وحديثها ومعاصرها))^(١٨).

إن هذه الآراء التي صرح بها الدكتور آل ياسين، طبقها منهجياً بشكل ملموس في كتبه التي ذكرناها في هذه النقطة. فمثلاً عند دراسته لحياة وفلسفة الكندي ابتداءً حديثه عن المنحى الشخصي لهذا الفيلسوف، والعصر الذي عاش فيه والإشكاليات التاريخية والسياسية والعقيدية التي مر بها عصر الكندي وأثر ذلك كله على نتاج الكندي الفلسفي ومواقفه من الميتافيزيقا والمعرفة والمنطق ونحت المصطلح الفلسفي ونظرية المعرفة والموقف من النبوة والأخلاق^(١٩).

ومثل ذلك فعل الدكتور آل ياسين في دراسته عن فلسفة الفارابي، على الرغم مما كتب عن هذا الفيلسوف الكبير من مؤلفات وأبحاث ورسائل جامعية وما عقد حوله من مؤتمرات وندوات وأبحاث في القرن العشرين، إلا أن دراسة الدكتور آل ياسين عن الفارابي الذي اعتبره الرائد الثاني في الفلسفة الإسلامية، (وإن كان البعض من الدارسين يعتبر الكندي الرائد الأول في الفلسفة الإسلامية، ويعتبر الفارابي المؤسس الحقيقي للمنهج الفلسفي الإسلامي والمعلم الثاني بلا منازع)، تبقى تحمل في طياتها ومنهجها ورؤاها والإشكاليات التي أثارته، ذات قيمة فلسفية لا يمكن تجاوزها، لما فيها من أحكام قيمة وتبصر عميق في فلسفة الفارابي، وهو ما قام به الدكتور آل ياسين من خلال عن معالم الحياة والعصر للفارابي (البعد التاريخي في دراسة الشخصية الفلسفية)، لينطلق بعدها في دراسة المنهج والمنطق في فلسفته، وليقف طويلاً أمام أهم مشكلة فلسفية واجهت الفكر الفلسفي الإسلامي، ألا وهي مشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين أو بين العقل

والنقل، أو بين الحكمة والشرعية، لينطلق بعدها في دراسة موضوعات أخرى في فلسفة الفارابي منها ماله صلة بالطبيعة والإنسان والمعرفة، وموقف الفارابي من النبوة والتي يسميها الدكتور آل ياسين بالبحث عن الإنسان الكامل، باعتبار أن موقف الفارابي من النبوة وربطها بالمعرفة لها أهمية تذكر وتميز واضح بين بقية الفلاسفة المسلمين، إذ جعل الفارابي النبوة مرتبة أقل من الفلسفة، باعتبار أن النبي يتلقى علومه والشرعية من الوحي باستعمال قوة التخيل، وهي رتبة معرفية أقل من التعقل، وإن الفيلسوف يرتقي بمعارفه للوصول إلى الحقيقة والاتصال بالعقل الفعال عن طريق العقل بالفعل، وبالتالي فإن الترقى الفلسفي غير التلقي عند النبي من الوحي^(٢٠)، وهذه الإشكالية عالجها الدكتور آل ياسين بتعمق فلسفي وعلمي ذات تميز وأصالة وجدة واضحة، بعدها ينتقل الدكتور آل ياسين لدراسة الفلسفة السياسية عند الفارابي والمتمثلة بالمدينة الفاضلة عنده، لينطلق في ذلك من رحاب هذه المدينة إلى رحاب البحث في الإنسان تطبيقاً، وليختم بحثه بالبعد الميتافيزيقي في فلسفة الفارابي^(٢١).

فضلاً عن ذلك، لم يكتف الدكتور آل ياسين بالبحث في فلسفتي الكندي والفارابي، بل وقدم دراسة فلسفية علمية معمقة لأحد أكبر فلاسفة الإسلام، ألا وهو الفيلسوف ابن سينا، محتذياً ذات المنهج الذي طبقه في الكتاب السابق (فيلسوفان رائدان)، وذلك بالربط الجدلي بين المنهج التحليلي والتركيبى والبعد التاريخي لنشأة الفيلسوف، بقوله: ((لم يكن ابن سينا مفكراً كمفكري عصره فحسب، بل كان عبقرية فذة، افتحمت بلامحها القوية النادرة مسالك الطريق الوعر الذي قادها إلى أعماق جذور الفكر الإنساني، محاولة بذلك استكشاف ما وراء الظواهر من بواطن الأمور التي خفيت حقيقتها على أنظار العامة من الناس، مما استعصى عليهم الوصول إلى إدراك ما ينبغي إدراكه بالمقياس الذي يدركه الإنسان العالم والفيلسوف الحق!!)).

إن هذه الدراسة عن فلسفة ابن سينا من قبل الدكتور آل ياسين تعتبر إحدى أوسع الدراسات عن هذا الفيلسوف في اللغة العربية، بحسب اعتراف الدكتور آل ياسين نفسه^(٢٢)، وأنا من جهتي لا أجد نفسي إلا ومتفقاً معه في ذلك، إذ أن الدراسات العربية والعراقية الحديثة والمعاصرة عن فلسفة ابن سينا إنما توجهت إلى جزئية من جزئيات هذه الفلسفة المترامية الأطراف، ولم تغطي كل جوانب فلسفة ابن سينا، وهذا ما شجع بحسب وجهتي نظري المتواضعة الدكتور آل ياسين لأن يقدم هذه الدراسة العلمية المتكاملة عن فلسفة ابن سينا وعلمه.

ومن جهة أخرى، يصف لنا الدكتور آل ياسين فلسفة ابن سينا ببعدها العملي التطبيقي، وذلك من خلال قراءة باطنة لفلسفة هذا الفيلسوف، فيقول: ((إننا نعتقد أن الأستاذ الرئيس ابن سينا مثل في موقفه تعادلاً بين وضعين: لم يكن فيلسوفاً مثالياً بحيث يدعو إلى حصر الحقيقة كلها في الذات العارفة، ولم يكن فيلسوفاً ذاتياً حصر نفسه في أحكام الذات دون العالم الخارجي، بل كان يوازن بين عالمين: عالم الواقع وعالم المثال، فلا يغلب أحدهما على الآخر إلا بمقدار، وليس في ذلك ما يتناقض ودعوى (أن الروح الإسلامية تنكر الذاتية أشد الإنكار)، كما يحلو للدكتور عبد الرحمن بدوي أن يقول ذلك في كتابه التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، لأن الذاتية في الإسلام لا تستوي في تصورنا (والقول للدكتور آل ياسين) مع المنظور الذي تبنته الروح اليونانية وفلسفتها، حيث عادت وكأنها نوع من التحدي السافر هي والآلهة على حد سواء!!))^(٢٣).

في حين تعني الذاتية عند الدكتور آل ياسين ((التعادل بين حق السماء وحق الأرض، حق الرب وحق العبد، بحيث لا يضيع الإنسان المسلم في تيه الغيب الذي لا حدود له، بل له مسؤوليته وله جزاؤه، وله أن يفعل هذا أو لا يفعل ذلك))^(٢٤).

وابن سينا بحسب قراءة الدكتور آل ياسين، أنه فيلسوف جمع بين أشتات المذاهب كلها، واختار منها الطريق الذي أراد، متوخياً بذلك أن يسجل موقفاً معيناً له،... وبهذا كان ثاني اثنين من فلاسفة الإسلام تميزاً بصفة التوفيقية والاختيارية،...، ومن ثم كان عالم الطبيعة والنفس بالنسبة لابن سينا هو المجال الأرحب في فلسفته وبنائها الفوقي الذي انطلق إليه: من عالم الحس إلى عالم الباطن حتى عالم الجنس الأعلى^(٢٥).

ولكن لا يفوت الدكتور آل ياسين، وهو الذي يطبق منهجه الفلسفي في قراءة تراثنا، أن يشير إلى أصول فلسفة ابن سينا وأثر الفارابي فيها، فيقول: ولكننا لا نتردد في القول بأن عبقرية ابن سينا الفلسفية استلهمت الكثير من أصولها ومناهجها من الفارابي، فيلسوف الإسلام غير منازع، وليس هذا بجديد ندعيه، فقد اعترف الأستاذ الرئيس نفسه (ابن سينا) بعلو هذه التلمذة وتأثيرها عليه!!^(٢٦).

ويمكن للدارس والباحث في كتاب الدكتور آل ياسين عن ابن سينا أن يلحظ الموضوعات المهمة التي تناولها بالبحث والدرس والتحليل والنقد والربط بين البعد المعرفي والبعد التاريخي، فبدء دراسته عن ابن سينا وتيار عصره، وهو العصر المضطرب سياسياً وفكرياً وعقدياً وغير ذلك، ليقف ملياً أمام السيرة الذاتية لابن سينا بالاعتماد على رواية تلميذه أبي عبيد الجوزجاني الذي وصف بدقة متناهية سيرة أستاذه منذ كان تلميذاً نابهاً وحتى أصبح طبيباً وعالمياً وفيلسوفاً مرموقاً، ثم تناول الدكتور آل ياسين موضوعات أخرى عن ابن سينا وفلسفته وعلمه، مثل صور من مسيرته العلمية، ومواقف ومفارقات، ومع ابن سينا في خزانة كتبه (أي مؤلفاته).

ليقف الدكتور آل ياسين وقفة باحث متخصص في فلسفة ابن سينا، وهو الذي بدء حياته العلمية والفلسفية معه في أطروحته للدكتوراه مثلما أشرنا إلى

ذلك في المبحث الأول، ولكن هذه المرة من خلال دراسة موضوعات فلسفية منها الطريقة والمنهج والنظرية المنطقية، والفلسفة الطبيعية، والميتافيزيقا، والنفوس، والتصوف والعرفان، أي البحث في الحكمة المشرقية. وربط ذلك بالبعد الأخلاقي عنده (٢٧).

إن هذه المواقف الفلسفية للدكتور آل ياسين والمنهج العلمي الذي اتبعه في دراساته للشخصيات الفلسفية، بقي واحداً متفرداً ولم ينهج عنه أو يبتعد، أو يغير من مواقفه الفلسفية والمنهجية مع تقادم العمر وازدياد التعمق والقراءة وتنوعها، ونوع الإشكاليات التي يثيرها الدارسون للفلسفة الإسلامية من معاصريه، سواء العراقيين أم العرب أم الإسلاميين، وهو ما لمسناه حتى في كتابه الأول في حياته العلمية، ألا وهو كتاب صدر الدين الشيرازي، مجدد الفلسفة الإسلامية، أو كتابه الذي ختم به حياته الفلسفية والعلمية، وهو كتاب فلاسفة مسلمون، والذي درس فيه كبار الفلاسفة من أمثال الكندي أو الفارابي أو إخوان الصفا أو ابن سينا أو الغزالي أو صدر الدين الشيرازي.

الخاتمة:

وإذ نختم بحثنا هذا لابد من القول: أن الدكتور جعفر مرتضى آل ياسين يحتاج منا نحن الدارسين للفلسفة في العراق المعاصر، المزيد من الاهتمام بما طرحه من آراء ومواقف فلسفية عديدة في كتبه، والكشف عن منهجه ومرجعياته الفكرية والفلسفية التي دفعته للاهتمام بالفلاسفة المسلمين والكشف عن أصالتهم وعبقرياتهم الفلسفية، كل ذلك بروح علمية وموضوعية تبغي الكشف عن الحقيقة ليس إلا، وغير مسبوقه بأحكام عن هذا الدارس المتفلسف أو غيره. لأن في هذا البحث عن هؤلاء المتفلسفة في العراق المعاصر إنما يقوم على رد الجميل لأهله،

من هؤلاء الأساتذة الكبار الذين علمونا وعلّموا الأجيال الطالبة للفلسفة روح التفلسف الحقيقي والبحث في أصالة الفلسفة الإسلامية بخاصة.

لأن الأصالة عند الدكتور آل ياسين تعني: تحقق نحو من التجديد في عملية التأثير الفكري ذاتها، على أن يكون هذا التجديد عملاً خالصاً لأصحابه، هم الذين صنعوا ونسجوا لحمته وسداه، وهاهنا كانت الأصالة، تتفق في مدلولها نوعاً، وتختلف كيفاً، من حيث أنها في صورها الأخيرة تجديد جاء على غير مثال! (٢٨)

أما البحث في المنهج الذي اعتمده الدكتور آل ياسين في تحقيقاته للنصوص الفلسفية الإسلامية الخاصة بالفارابي وابن سينا، فإنها تحتاج إلى بحث آخر، سنعمل عليه في قابل الأيام، ولنكشف فيه عن أهمية تحقيق النصوص الفلسفية على وفق المنهج العلمي الأكاديمي الذي اتبعه المرحوم الدكتور آل ياسين، وهو منهج محكم يغوص في باطن المخطوط التراثي الفلسفي ليقدّم جملة ونصاً فلسفياً صحيحاً وأقرب إلى روح ذلك الفيلسوف ولغة عصره.

Abstract

This research entitled Dr. Jaffar AAI- Yassin and philosophical role in contemporary Iraq, the objective, purpose and aims to contribute to philosophical detention of the make of the Iraq late Dr. Haffar AAI-Yassin, and the statement of the approach adopted reading of the Islamic philosophical texts.

Research is an attempt by us to study the philosophical figures of Arab and Islami, research excellence.

The late Dr. Jaafar Bin Mutrtza AAI- Yassin was born in Kadhimia holy. Baghdad, Iraq, and the deceased in the holy city of Najaf in ٢٠٠٨, mark the philosophical prominent in the lesson philosophical contemporary Iraq as well as Arab Muslim word, and that for his philosophical studies in depth in Greek philosophy, Islamic and Arab and Islamic heritage , and investigations philosophical texts for senior Muslim philosopher Abu Nasr Al- Farabi, and philosopher, Abu Ali Ibn Sina. It also left us with Dr. Jaffar AAI- Jassin, a valuable collection of writings and research, input to the library philosophical Iraq, Arab and Islamic contemporary have had a role in the statement of the true picture of Muslim philosophers.

هوامش البحث

- (١). صدرت أعمال هذا المؤتمر، تحت عنوان (أزمة الفلسفة في العالم العربي)، بإشراف الأستاذ الدكتور حسام محي الدين الآلوسي، بغداد ٢٠٠٩.
- (٢). والد الدكتور جعفر آل ياسين هو العلامة الإسلامي الكبير مرتضى آل ياسين، الذي قضى حياته في خدمة الفكر الإسلامي والفقه والكلام والتفسير، وهو مرجع من مراجع الشيعة الكبار في القرن العشرين، والشيخ مرتضى آل ياسين هو خال العلامة آية الله العظمى محمد باقر الصدر (ت ١٩٨٠م)، أما خال الدكتور جعفر فهو السياسي العراقي المعروف محمد الصدر.
- (٣). بقيت هذه الأطروحة أسيرة اللغة الإنجليزية وحتى وفاة الدكتور جعفر آل ياسين، ولم تترجم إلى العربية ليستفيد منها قراء الدرس الفلسفي العراقي والعربي والإسلامي. ولربما في ترجمتها ونقلها إلى اللغة العربية فائدة كبيرة ترجى.
- (٤). ينظر، المدخل إلى الفكر الفلسفي عند العرب، بغداد ١٩٧٨، ص ٣.
- (٥). المرجع نفسه، ص ٣.
- (٦). المرجع نفسه، ص ٣ - ٤.
- (٧). المرجع نفسه، ص ٤.
- (٨). المرجع نفسه، ص ٤.
- (٩). المرجع نفسه، ص ٤ - ٥.
- (١٠). المرجع نفسه، ص ٥.
- (١١). المرجع نفسه، ص ٦.
- (١٢). المرجع نفسه، ص ٧.
- (١٣). المرجع نفسه، ص ٧.
- (١٤). المرجع نفسه، ص ٨.
- (١٥). المرجع نفسه، ص ٨ - ٩.
- (١٦). المرجع نفسه، ص ١٦.
- (١٧). المرجع نفسه، ص ٧.

- (١٨). المرجع نفسه، ص ٨.
- (١٩). يراجع، الموضوعات الفلسفية التي ناقشها الدكتور آل ياسين عن الكندي بالتفصيل في كتابه فيلسوفان رائدان، إذ احتل هذا الفيلسوف الصفحات ١١-٥٥، من الكتاب. مع الرجوع إلى النصوص الفلسفية للكندي بحسب ما هو محقق منها بشكل علمي.
- (٢٠). لمعرفة مواقف الفلاسفة المسلمين من النبوة، وهل هي رتبة أعلى من الفلسفة، وهل أن النبي أعلى رتبة من الفيلسوف، أم مساوٍ له أم أدنى رتبة، يراجع، كتاب، منجي لسود، إسلام الفلاسفة، ط ١، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٦.
- (٢١). يراجع، الموضوعات الفلسفية التي ناقشها الدكتور آل ياسين عن الفارابي بالتفصيل في كتابه فيلسوفان رائدان، إذ احتل هذا الفيلسوف الصفحات ٥٧-١٨٢، من الكتاب. مع الرجوع إلى النصوص الفلسفية للفارابي بحسب ما هو محقق منها بشكل علمي.
- (٢٢). المرجع نفسه، ص ١٢.
- (٢٣). المرجع نفسه، ص ١١.
- (٢٤). المرجع نفسه، ص ١١.
- (٢٥). المرجع نفسه، ص ١١.
- (٢٦). المرجع نفسه، ص ١١.
- (٢٧). يراجع، الموضوعات الفلسفية التي ناقشها الدكتور آل ياسين عن ابن سينا بالتفصيل في كتابه فيلسوف عالم، إذ تجاوزت صفحات الكتاب أكثر من ثلاثمائة صفحة، كما وأضاف الدكتور آل ياسين نصوصاً تاريخية وفلسفية في هذا الكتاب، منها: السيرة بقلم ابن سينا، والسيرة بقلم تلميذه الجوزجاني، ورسالة العهد في الأخلاق، مع مصادر ومراجع مهمة في هذا الكتاب.
- (٢٨). يراجع، المدخل إلى الفكر الفلسفي، ص ٢٠-٢١.

قائمة المصادر والمراجع

١. آل ياسين، د. جعفر، المدخل إلى الفكر الفلسفي عند العرب، بغداد، ١٩٧٨م.
٢. آل ياسين، د. جعفر، فيلسوفان رائدان، الكندي، والفارابي، صدرت طبعته الأولى، عن دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م.
٣. آل ياسين، د. جعفر، المنطق السينوي، دراسة للنظرية المنطقية عند ابن سينا، صدر هذا الكتاب عن دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
٤. آل ياسين، د. جعفر، فيلسوف عالم، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، صدر هذا الكتاب عن دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٤م.
٥. آل ياسين، د. جعفر، الفارابي في حدوده ورسومه، صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عن دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
٦. آل ياسين، د. جعفر، فلاسفة مسلمون، الكندي، الفارابي، أخوان الصفا، وابن سينا والغزالي، وصدر الدين الشيرازي، صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عن دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧م.
٧. منجي لسود، إسلام الفلاسفة، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م.